الفصل الأول

المدخل ـ الساعة

الفرق بين قيام الساعة والقيامة

أولا: تقديم ومدخل:

لقد عجّت المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب والمراجع التي بناها أصحابها على أوهام أو فقاعات ثقافية، وتناقلت الأجيال تلك الثقافات على أنها الدين، فمن بؤس ما ترانا فيه أنك تجد مشاهير من مشايخ زماننا ومشاهير دعاتنا وهم لا يعرفون الفرق بين الروح والنفس، وتراهم لا يدركون عن الوفاة إلا أنها خروج الروح لأنهم لم يتثقفوا بثقافة القرءان، ولم يتمتعوا إلا بالنذر اليسير جدا من هداية الرحمن، بل نبعت ثقافتهم من بين أيدي سطور خطها القدماء، وصنعوا لها مراجع ساذجة في بعضها، واندس الغث والتزييف في بعضٍ آخر.

ومن بين ما انكب فيه الأقدمون والمُحَدِّثُون أنك لا تجدهم يُفرقون بين قيام الساعة ويوم القيامة، ولا يُدركون تفرُّد أحداث كل منهما عن الآخر، لذلك انتشر الجهل وتقعرت المصيبة، وافتتن الناس بهذه الثقافة المخلوطة والمهتزة، لكني أرى العذر للناس، لأن تلك

السقطات تخرج غالبا من رموز الدعوة والفقه، لذلك ورث كثير منا ذلك الميراث فترانا لا نُفَرِّق بين قيام الساعةِ ويوم القيامة ونتصور أنهما تعبيران لمضمون واحد كما يردد أشياخنا على مسامعنا كل يوم، ونحن في غالب أمرنا مثل أكثرهم لا نعرف الفرق بين الرؤية والنظر والبصر، ولا الفرق بين العاقر والعقيم، ولا حتى ما بين المرأة والزوج، ولا الفرق بين الرجس والرجز، وغير ذلك كثير، بينما نفخر بأننا عرب، ومتخصصونا يفخرون بأنهم أساطين اللغة العربية، بينما لا يذكرون أن الذي وضع قواعدها ليس بعربي.

ومن أسباب زوغنا عن الحق اتباع الكثير من أشياخنا الآيات ظنية الدلالة والتصدي لها حين تفسير كتاب الله وترتيب قواعد فقهية أصولية بناء على ذلك المنهج، مما أدى إلى الزوغ عن الحق، فحين نتخذ من الآية: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: 46]؛ منهاجا لإثبات عذاب القبر، بينما لا تجد لفظ القبر بها فإنك تعلم بأن الفقيه قد استنتج القبر وذلك هو عين الاعتماد على الآيات ظنية الدلالة.

وتجد ذات الآية وهي تتوجه بألفاظها لفئة محددة من الكافرين وهم آل فرعون، ومع هذا تجد الفقيه وقد عمم ذلك الحكم على جموع المؤمنين، وقال بأنهم يعذبون بقبورهم، وتلكم هي الظنية الثانية.

وتـرى الآيـة وقد أورت بـأن آل فرعون هم الذيـن يُعرضون على النـار ولا تُعرض النـار عليهم في قبورهم، بما يعني بـأن النار هي التي تراهـم فتعرفهم بأنهـم زبائنها بينما هم لا يرونها، ومـع ذلك قالوا بأنها عذاب قبر، وتلكم هي الظنية الثالثة.

وتجـد الآية وهي تتكلم عن غدوّ وعـشيّ وهذان لا يكونان إلا في حياة فيها شروق وغروب للشـمس، وليـس بالقبر شروق أو غروب، ومع هذا لم ينتبهوا، وتلكم الظنية الرابعة.

ويوجـه الله أوامره بالآية للملائكة وهذا لا يكون إلا يوم القيامة: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، بينـما تذكر ذات الآية بأولها أحداث مما حدث لآل فرعـون بالدنيـا من عذاب (وليس بالقبر) وهو ما سـلطه الله عليهم مـن طوفان وجراد وضفادع والقمل والدم، وحتى إن واكبناهم وانتهينا إلى أنهـا تعني عذاب لهم في قبورهم فلا يكون أبدا من أعمال اليوم الآخر الذي تُنبه عليه الآية في آخرها، لذلك فهي آية ظنية الدلالة يختلط بها الحكم الشرعي فيما يخص دلالة أحداث الساعة ودلالة أحداث يوم القيامة، بينما هنـاك آيات صريحة وثابتة الدلالة تؤكد الفرق بين السـاعة ويوم القيامة، وأخرى تبين كيف تأجل حساب الناس جميعا ليوم الحساب، إذ لا عذاب قبل الحساب، لكننا تعودنا أن نترنح في خِضَم الآيات ظنية الدلالة اتِّباعًا للقدماء من منطلق (هذا ما ألفينا عليه آباءنا).

وهناك أيضا فرق بين الكتاب والقرءان وذلك لقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: 1]؛ فالكتاب يحوي الكونيات والخلق والإيمانيات العامة وبعض قصص من قبلنا، والقرءان يحوي الأوامر والنواهي وهو ما نسميه بالتشريعات الخاصة بالأمم.

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]؛ فدل هذا على أن السبع المثاني أيضا وإن كانت بين دفتي الكتاب لكنها ليست القرءان، وهي ليست بفاتحة الكتاب، لأن الفاتحة هي سورة واحدة هي فاتحة للكتاب كله، لكنها سبع آيات تنتشر بالقرءان كله، وهي فواتح لسبع سور بالقرءان، وما يعلم أحد تأويلها حتى الآن، وهي كالآتي: -1 الم، -2 المص، -3 كهيعص، -4 يس، -5 طه، -6 طسم، -7 حم، أما باقي الحروف مثل: [الر، المر، طس، ن، ق، ص] فهي جزء من آية وليست آية كاملة، وأما (عسق) فهي ليست بفاتحة سورة، وعموما حروف السبع المثاني لا تنتمي إلى اللغة العربية فقط، لكنها حروف مسموعة ينطق بها أهل الأرض جميعا.

[المصدر: الكتاب والقرءان لمحمد شحرور].

وهناك أقوال أخرى بالأمر، لكنها بالتأكيد ليست بالفاتحة كما يتصور كثير من المفسرين، ولا يتصور أحد بأن هناك آيات لا يجب الإيمان بها، أو بأنها غير مقدسة، فمن يقل بذلك فقد خرج من الدين،

لكـن ذلك التقسـيم يفيد علماء أصـول الفقه، وأهـل الفُتيا في عملهم، لذلك وجب التدقيق في كلمات الله، وألا نكون أسرى لرأي أحد، وأن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وقـد فهم الناس بالخطـأ معنى قول الرسـول ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرءان ومثله معه**»، فتصوروا أنه السُّـنة، لكنه الكتاب، وأيضا السَّـبع المثاني، فضلا عن القرءان العظيم، والجميع داخل دفتي المصحف، وما علينا إلا أن نتفاعل مع آيات كتاب الله فسنفهم الأمر، بدلا من الخروج عن جادة الكتاب.

وحتـى لا يكـون علمنا خيالات وخبالات نظنهـا حقائق، وحتى لا نسـتقي علومنـا من أحاديث لا تملـك الحقيقة المطلقـة ونرتويها من روايـات ظنية الثبـوت، بينما لا يهمنا قول ربنا عن رسـول الله في مدى علمه بالغيبيـات: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: 9].

ويقـول تعالى عـن نبيه محمـد: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعـراف: 188]. إلا أن الأقدمين اتخـذوا السُّـنة القوليـة ـ وهـي على هـذا الحـال ـ مصدرا مـن مصادر التشريع، وراحوا يخلطون على الناس أمر السُّنة فلا يُفرقون بين القولية

الظنية الثبوت، والعملية الآكدة الثبوت، ولا يفرقون بين ما صدر عن الرسول، وما نسب إليه، لذلك فلابد من وقفة تعقل وتدبر.

فإذا كان النبي بصريح الآيات لا يدري ما يُفعل به ولا بنا، ولا يعلم الغيب، وإن ما يعلمه رسولنا من الغيب هو ما علّمه الله إياه وأورد ذكره بكتابه الكريم تفصيلا ومذيَّلا بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: 44، يوسف: 102]، أو قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 49]؛ فكيف نترك كتاب ربنا لنعلم علم الغيب عن الدار الآخرة من غيره من كتابات لم يتعهد الله بحفظها ونظنها دينا نفرض عناصره على الناس بينما نترك أحسن الحديث (كتاب الله)!!؟.

وتأكيد آخر يثبت فساد منهج الذين يعتمدون على المرويات سندا لعلم أحداث الساعة والقيامة، فقد قال الله عز وجل لنبيه ولنا جميعا: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: 3]، وقال له: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: 17]، فمعنى ذلك أن أي من البشر لا يمكن أن يدرك الحقيقة، لكن الله يُقرِّب لأذهاننا بعضا منها من خلال النصوص القرءانية وما واكبها من أقوال رسول الله المنضبطة على نصوص الآيات القرءانية.

وتجد مؤلفاتهم التي فقدت الفرق بين الساعة ويوم القيامة وهي تُحدثك عن أشراط الساعة وأحيانا يذكرون بأنها أشراط يوم القيامة، لأنهم لا يعرفون الفرق بينهما، وتجدهم قد حشدوا كل ما وقع تحت يدهم من أحاديث نسبوا أكثرها زورا لسيد البشرية وقالوا عنها حديث صحيح، أو لأنها وردت بالصحاح، بينما ترى الفقر المدقع في كتاب الله وقد حوته تلك المؤلفات.

ولما اختلط الأمر عليهم فقد قالوا بأن القيامة لها أسماء منها [الصّاخة، والحاقة، والقارعة، الغاشية، يوم الفصل، النبأ العظيم، الزلزلة، القيامة... إلخ]، فهكذا تجدهم وقد اختلط الأمر عليهم، ولنتخذ مثل بالصاخة والقيامة، فالاسم الأول هو قيام الساعة والثاني هو يوم البعث والحساب، وعلى من يريد التثبت أن يقرأ الآيات بكتاب الله ليعلم الفرق بين الصاخة والقيامة ليجد بأن الأولى هدم للكون إبان وجود بشر ما زالوا أحياء، بينما بالثانية بناء وإحياء لأموات.

نعم تكون للقيامة أسماء، لكنها ليست كل ما ورد عن الساعة والقيامة، فيمكن القول بأن يوم القيامة يكون اسمه مما ورد عنه بكتاب الله: [يوم الفصل، ويوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الدين، الغاشية]، لكن لا يمكن أن يكون الصاخة أو الحاقة.

لذلك رأيت أن أنتهي بمصنفي هذا وأستعين بكتاب الله أولا، وببعض من السُّنة القولية لرسول الله ﷺ، حتى يتهيأ الناس لعهد جديد تكون فيه الرِّيادة للقرءان، بعد أن مكثنا دهورا وأحقابا لا ترتوى أدمغتنا إلا من أحاديث ـ الله أعلم بها ـ ونذر يسير من آيات كتاب الله ذرًّا للرماد في العيون، والناس تئن تحت وطأة بعض المؤلفين الذين يحدوهم رواج شهرة بين الناس قبل تجارة التقوى مع رب الناس.

فساد تسمية أشراط كبرى للساعة والفرق بين قيام الساعة ويوم القيامة:

ومن عجيب ونواتج الخلط بين القيامة والساعة أنهم قالوا بأن للساعة أشراط صغرى وأخرى كبرى، وحقيقة الأمر أن للساعة أشراطًا وهي تلك التي يسمونها الأشراط الصغرى، ثم بعد ذلك تقوم ساعة دمار الكون، وهو ما يسميه الأقدمون بالعلامات الكبرى، ويسميه القرءان (قيام الساعة) واقعا وحقيقة، فاللفظ القرءاني لكلمة (تقوم) يقترن بكلمة الساعة، أما اللفظ القرءاني لكلمة قيامة فيقترن دوما بكلمة يوم.

ولقد نشأ عن تشابه الكلمات (تقوم الساعة ـ ويوم القيامة) اضطراب للمعنى في أذهان الأقدمين، فقاموا بحل المعضلة التي واجهتهم بقول الأشراط الصغرى والكبرى للساعة وبذات الوقت

خلطوا أمر قيام الساعة مع يوم القيامة باعتبارهما يشتركان في حروف تتشكل منها كلمة (تقوم) وكلمة (قيامة).

ومن أسباب الخلط عدم الوقوف على حقيقة أن الساعة لابد لها من قيام لتبدأ سلسلة تدمير الكون بالترتيب الذي أراده الله، وهو يستغرق زمنا، بينما يوم القيامة لها صفة اليوم الواحد السرمدي.

والساعة قد تكون خاصة لإنسان بذاته فيموت فتكون ساعته قد قامت، وقد تكون على قوم كقوم عاد وثمود وآل لوط وغيرهم فتقوم ساعتهم فيهلكهم الله جميعا، فكانت ساعة عاد بأن أرسل الله عليهم الريح النَّحِسَات العقيم، وكانت ساعة قوم هود بأن أُهلكوا بالطاغية، وقد تكون الساعة عامة للكون كله بما عليه من خلائق وما يعلوه من سماء، لكن القيامة دوما عامة، فلا تقوم على شخص بعينه ولا على قوم بذاتهم، وعلى ذلك فتعبير [من مات فقد قامت قيامته] تعبير خاطئ، فضلا عن أن رجال علم الحديث قالوا بأنه ضعيف وبعضهم قالوا بأنه موضوع. [راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني].

واختلاط معنى كلمة (قيام ـ وتقوم) وكلمة (قيامة)، أدى إلى عدم التفرقة بين ما يحدث بالأرض التي نعرفها والدنيا التي نحيا بها، وبين الآخرة التي لا علم لنا بمعطياتها ولا أجزائها ولا طبيعة مكوناتها، فهناك قيام للساعة، وهو ما يسمونه بالأشراط أو العلامات الكبرى

لكن القرءان يسميه قيام للساعة، وهناك ما يسمى بيوم القيامة، وهما أمران منفصلان ومختلفان في الأحداث والزمن والمكان.

وفي أمر قيام الساعة يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم: 12].

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: 14].

ويقول جل شأنه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: 55].

ويقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الجاثية: 27].

فالتي تقوم هي الساعة، بينما تعبير القيامة ورد وقد سبقه دوما كلمة (يوم)، ولا يسبقها كلمة (تقوم)، فالقيامة لا تقوم، وما درج عليه الناس من قول (تقوم القيامة) إنما هو من تراث التدين الشعبي الذي لم يرد بكتاب الله، وسببه خلط قدامى الفقهاء بين القيامة والساعة واعتبارهما مسميين لموضوع واحد.

فالساعة هي التي تقوم على الدنيا فتفنيها، أما يوم القيامة فيبين من اسمه وجوده حقيقة قائمة لها صفة أنه يقيم كل شيء في نصابه الصحيح، لكن ذلك اليوم خارج الزمن، وخارج واقعنا، لذلك لا

تعجب حين يذكر الله أحداث يوم القيامة كفعل ماض، لأنه خارج الزمن الذي نعيشه، وهو الأصل ونحن الصورة، ورغم كثرة أحداثها فهي تقع كلها دفعة واحدة في يوم واحد ليس له مقومات أيامنا.

فتجد الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71]؛ ويقول: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73]؛ ويقول: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: 23]؛ فيذكرها القرءان وكأنها فعل ماض، وما ذلك إلا لاختلاف الزمن بيننا وبين الآخرة، وليلاحظ القارئ بأني أتحدث عن الزمن وليس عن الوقت، وأتحدث عن واقع غير واقعنا وتتغير مقوماتنا البشرية فيه، فلا بول ولا غائط ولا عرق، ونظر غير محدود، وكثير من الفوارق التي لا ندركها.

وكلمة يوم القيامة تعني أنه يوم واحد، يسميه القرءان يوما ثقيلا، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27]؛ وهو ليس من جنس أيامنا التي نعرفها، أما الساعة فسيستغرق أمر قيامها أياما وأحقابا زمنية، لذلك يجب أن نفرق بين لفظ (قيام الساعة)، ولفظ (يوم القيامة) ونفرق بينهما.

لذلك فالخلل كل الخلل بمقولة العلامات الكبرى للساعة التي

يخلطون بها أمر الساعة مع أحداث القيامة، ومن لطيف البيان أن نذكر بأنه بين أحداث قيام الساعة وحدث يوم القيامة أمد وزمن لا يعلم كنهه (بيانًا ومقدارًا) إلا الله.

ثانيا: خلاصة بيان الفرق بين أحداث الساعة والقيامة:

1- فالساعة هي آخر أيام الدنيا، بينما يوم القيامة هو يوم واحد بالآخرة.

2- والساعة تقوم على أحياء فتُميتهم ويُدفن الناس تحت ثرى الأرض، بينما تقوم القيامة على أموات فتحييهم، وتتشقق الأرض عن أجسادهم فيخرجون منها وينبتون كما ينبت البقل، فهو يوم يقوم الناس لرب العالمين.

3- والساعة تأتي بغتة، بينما لا تبغت القيامة أحدًا، لأنها تقوم على أموات، أما الساعة فلأنها تقوم على أحياء فهم يُبغتون: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 2].

4- والساعة لها علامات تعني قرب انتهاء فرصة الإيمان، بينما القيامة تقوم ولا أشراط لها، لأنها تقوم على أموات.

5- وأشراط الساعة ينفع معها إيمان وتوبة وهي ما يسمونه بالأشراط الصغرى، بينما قيام أحداث الساعة يعني فوات فرصة الإيمان والتوبة، أما القيامة فلا عمل بها ولا توبة لأنها يوم الحساب فقط.

6- وقيام الساعة يعني زوال الدنيا وفناءها، لكن يوم القيامة يوم بناء وتشييد لصروح الآخرة.

7- والساعة تقوم على أرضنا هذه وعلى تلك السماء التي نراها الآن، بينما لن يكون يوم القيامة على أرضنا هذه، فتلك الأرض ستزول عند قيام الساعة، ويبدلها الله والسماوات لأجل القيامة.

8- والساعة تقوم على أرضنا وسمائنا التي نعرفها، بينما القيامة تقوم على كل الأكوان والخلائق بالسماوات والأرضين، فيقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]؛ وهو الأمر الذي يؤكد وجود مخلوقات عاقلة بالسماء لورود تعبير ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فكلمة (من) تقال للعاقل، كما نرى أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]؛ فالكل سيمثل أمام المولى سبحانه وتعالى بالآخرة.

9- وعند قيام الساعة يكون الإنسان بذات جسده وإمكاناته، بينما

بالقيامة يرتفع مستوى الجسد، فيرى الملائكة والجن وغير ذلك من الخصائص التي منها كلام الأيدي والأرجل والجلود.

10- وأمر قيام الساعة يستغرق أيامًا وسنوات وأحقابًا بينما القيامة يوم واحد اسمه يوم القيامة.

11- ومن أحداث الساعة أن تتزلزل الأرض، وتخرج براكين من جوفها، وتُنسف الجبال، وستختبئ فلول البشرية التي ما زالت على قيد الحياة، يهمس بعضهم لبعض من الذعر، ثم تزول الأرض وما عليها، وستكشط السماء وتفتح لتصير أبوابا، ... ثم ... ثم.

أما يوم القيامة فهو يوم استقرار على أرض جديدة، ليس فيه ذعر من جنس ذعر الدنيا، إنما يستمد قوة كيانه من رؤية الناس للملائكة، ووقوع الحساب فيه، ودخول الجنَّة والنَّار وما قبل ذلك من أحداث.

12- وبالقيامة مكونات وعناصر ليست من مكونات وعناصر ما تقوم عليه الساعة، فالجنَّة والنَّار والميزان والكتب، كلها ليست متيسرة بالدنيا التي تقوم عليها الساعة، بما يعني أن العناصر والمقومات مختلفة بكل منهما.

13- والساعة قد تكون عامة، وقد تكون خاصة، لكن القيامة عامة دائما، وعلى ذلك فتعبير [من مات فقد قامت قيامته] ليس له

وجود بالقرءان ولا الفقه السوي، وحكم الشيخ المحدث الألباني ـ يرحمه الله ـ بوضعه على رسول الله.

14- وبالساعة العامة يتفرق الناس، حيث يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: 14].

أما يوم القيامة فهم يُجمعون، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: 9].

لذلك رأيت أن تتم دراسة كل ما ورد بكتاب الله عن الساعة وعن يوم القيامة تفصيلا، حتى يقف القارئ بتدبر واع لكتاب الله عن أحداث كل منهما.

ثالثا: بين الساعة والقيامة واليوم الآخر:

أما الفرق بين يوم القيامة والساعة من جهة واليوم الآخر من جهة أخرى، فاليوم الآخر هو الذي يضم الساعة ويوم القيامة فيما يخص الإيمان بهما، لذلك فقد قرن الله كلمة اليوم الآخر بالإيمان، كما قرن الإيمان به سبحانه وتعالى مصحوبا بالإيمان باليوم الآخر، بينما لم يقرن الإيمان به مصحوبا بالإيمان بالساعة وحدها ولا بالقيامة وحدها، إنما

اختص ذكر الساعة والقيامة بالقرءان على سرد أحداث كل منهما، أو التذكير والتهديد بهما.

ومبحثنا الماثل يخص الأحداث، وعلى ذلك نخلص إلى أن ذكر الساعة أو يوم القيامة بالقرءان إنما يعني الأحداث التي تتم بكل منهما، فالساعة هي آخر أحداث الدنيا، والقيامة هي أول أحداث الآخرة، أما تعبير اليوم الآخر فيعني الإيمان بهما معا كأحد عناصر الإيمان، وبأن تلك الحياة ستنتهي إلى حياة الجزاء الأبدي فذلك هو الإيمان باليوم الآخر الذي يضمهما، ولا يوجد من يؤمن بأحدهما ولا يؤمن بالآخر، لذلك فإن تعبير اليوم الآخر هو الذي ضمهما معا ليكوِّن حقيقة الإيمان بهما دون النظر للأحداث التي تتم بكل منهما، بما يعني الإيمان بزوال الدنيا وبوجود حياة أخرى خالدة.

وأعلم أن هذا المنطق في التفكير قد يصعب على الكثير تفهمه أو هضمه، لكن لابد أن نرتقي بإدراكنا ولا نستمر في سطحيات الفكر القديم ننقلها بلا إدراك.

وقد يرى البعض وهو يطالع كتاب الله وجود آيات تحمل صفة الساعة (أنها من الدنيا)، ثم يجد الآية التي تليها تحمل صفة القيامة، فيرتج عليه الأمر، لكن تيسيرا على الأفهام أن تدرك الأمر... فإن كل ما جاء بالآية السابقة أو بالكلمات السابقة على كلمة الساعة وبه

شيء عن الساعة وكونها من الدنيا فهو من الساعة، أما ما يأتي بعدها فقد يكون منها وقد يكون من القيامة لذلك وجب التدقيق، والمنهج العلمي هو منهج نظرية السياق، حيث يقوم على أن الكلمة تكون أسيرة للسياق الذي تدخل فيه (الوحدة اللغوية الأكبر).

والسياق نوعان سياق الكلام ويسمى السياق اللغوي، وسياق الموقف ويسمى سياق الحال، لذا وجب التنبه لذلك، كما أن الإنسان إذا ما أراد أن يعلم حكم القرءان في مسألة فلا تكفيه آية واحدة أو جزء من آية كما يحدث من البعض الآن، لكن لابد أن تقف على كل الآيات التي نوهت عن الموضوع الواحد ثم تستخرج منها التدبر الواجب عليك، وسوف أُبيِّن من خلال تفسير خاص أمر بعض الآيات التي ارتجت معانيها على الأقدمين بشأن الساعة والقيامة.

ولقد سردت بآخر الكتاب جميع الآيات التي وردت بالقرءان عن الساعة والقيامة ليسهل على القارئ التمييز.

رابعا: الغرض من دراسة الفرق بينهما:

وفائدة دراسة الفرق بين اللفظين يعيد صياغة تفهمنا لمعاني ما ورد من آيات كتاب الله، وبالتالي تعديل كثير من أفكار السلف عما يدّعونه من بعض التفسيرات المخالفة لمرامي الآيات، كما أنه من واجب البيان

أن نذكر بأن التسميات (ساعة ـ قيامة ـ يوم آخر) لا تعنينا قدر ما يعنينا وثوق المسلم ببديع البيان القرءاني وفهمه لآياته ودلالات الألفاظ به.

كما أن أمتنا وهي الأمة العربية منوط بها دعوة باقي الأمم لدين الإسلام، فلابد علينا من فهم الألفاظ حتى نقوم بأعباء الدعوة بناء على فهم قويم ولنعلم بأننا نخاطب أممًا ذات عقول وثقافات أوسع من تلك العقول النقلية التي نترنح بها في الحياة، لذلك علينا الالتزام بالدقة.

ولقد تكررت كلمة الساعة بالقرءان 39 مرة في خمس وثلاثين آية، وتكررت كلمة تقوم الساعة خمس مرات في خمس آيات، وتكررت كلمة ساعة غير معرفة بحرف التعريف (أل) 8 مرات في ثماني آيات.

وتكررت كلمة القيامة بالقرءان 70 مرة في سبعين آية، وذكرت القيامة والساعة مجتمعتين في سورة واحدة 13 مرة في ثلاث عشرة سورة. ولقد ذكرت كلمة (واليوم الآخر) 22 مرة، في 22 آية تم إقرانها كلها بالإيمان بالله، وذكرت كلمة (اليوم الآخر) بدون حرف الواو مرة واحدة.

وكما نعلم بأنه لا ترادف [تشابه المعنى] فيما ورد بالقرءان من كلمات، فلكل كلمة مدلولها الخاص بها لتُبَيِّن ما عناه الله بدقة متناهية، فحين يذكر الله كلمة الساعة فلا تعني أبدا يوم القيامة، ولا يعني لفظ يوم القيامة أنه الساعة، ودعكم من فقه الأمس الذي كان لا يفرق بينهما.

كما نوهت سلفا فإن الساعة التي يذكرها القرءان هي ساعة دمار الكون، وبداية زواله، وتكون في آخر حقبة من أيام الدنيا، وهي من جنسه [أيام كأيامنا هذه]، وهي حين تقوم ستكون ولا يزال بالدنيا نبض حياة، بما يعني وجود أحياء بالدنيا حين قيامها، لذلك فهي تقوم عليهم وعلى كل مظاهر الحياة فتدمرها، وسماؤنا التي تظلنا يتم تدميرها، وتدمير نجومها وكواكبها ونظامها حين تقوم الساعة.

ويوم القيامة يوم بناء لعهد جديد فيه حساب بلا عمل، لذلك سمي يوم الجزاء، بينما الساعة هدم لعهد قديم كان فيه العمل بلا حساب واف، وبالقيامة يحشر الناس جميعا كلهم فيها، بينما الساعة العامة لا تقوم إلا على بعض الناس وعلى بعض الأحياء.

مباغتة الساعة للناس والفرق بين الساعة العامة والخاصة

وللساعة أشراط أي علامات، ويقال لها أمارات، حيث يقول تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: 18]؛ فدل ذلك على أن للساعة أشراط ـ وهي من رحمة الله ـ منها ما جاء، ومنها ما سيأتي، وتدل الآية أيضا على أن الساعة تقوم فجأة.

ولا يتلمظ متلمظ، فيتصور بأن الأشراط تخالف الفُجاءة، فذلك من غير المقبول في السوية الفكرية، فالأشراط تكون من رحمة الله، حيث ينبه الله بها الغافلين ليتوبوا والكافرين ليؤمنوا.

لكن حين قيامها فجأة فهي تقوم لتدمر، فالتدمير ليس بعلامة، لكنه حدث جلل ينتهي معه فرصة الإنسان في الإيمان والتوبة، وهي لا تستأذن أحدا لتقوم، لذلك وجب الحرص أن تأتيك أحداث النهاية وأنت لا زلت مقيمًا على المعاصي.

كما أن الأشراط تقع في أجيال يُنسى بعضها ما حدث للجيل الذي سبقه، والنسيان من طباع بني آدم، لذلك فالساعة تكون بغتة، حيث يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44]؛ ويقول جل جلاله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: 66].

فالنسيان وعدم الشعور هو ما يغلب علينا في أمر أشراط الساعة، سواء أكانت ساعة خاصة أو عامة وهو ما سيرد بيانه، أما البغتة فتكون في قيامها.

وكلمة بغتة تعني وجود شعور وإدراك بما يعني قيامها على أحياء،

لكـن على غير مـا يتوقع هؤلاء الأحيـاء، لذلك يقـول تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].

وقـد يكون من المفيد أن أذكر بأن السـاعة حـين تعني دمار الكون فهي تعني بذات الوقت دمار نفس كل كائن حي على حدة، وكل نفس لهـا أشراط لفنائها، فأنت حين تشـيب فذلك مـن أشراط نهاية حياتك وهو ما أُسمِّيه الساعة الخاصة.

أمارات الساعة

لقـد ذكر الله أشراط السـاعة العامـة (أمارات السـاعة) في كتابه، ونبهـت عليهـا السُّـنن العمليـة والقوليـة لرسـول الله، فبعثته ﷺ من أشراط السـاعة التـي جـاءت دون أن نـدري، أو لعـل بعضنـا أخذته الدراية، ثم نسينا وذريتنا تلك العلامة الفارقة، حيث يقول تعالى بسورة النازعات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 42-46]؛ ويقول رسـول الله فيما رواه البخاري في صحيحه بالحديث رقم [4995] قال رسـول: [بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى]، بما يعني أن بعثته تدل على قرب انتهاء الدنيا ودنو ما يسمونه العلامات الكبرى التي لا ينفع معها توبة ولا إيمان.

ولعل الفقهاء قسموا أشراط الساعة إلى كبرى وصغرى، وهو ما أختلف معهم فيه، فالساعة لها أشراط وهي تلك التي اعتادوا أن يسموها بالصغرى، ثم بعد ذلك تقوم الساعة لتدمير هذا الكون وانتهاء كل أثر للحياة وهو ما يسمونه خطأ بالأشراط الكبرى، لأنها الواقعة فعلا وحقيقة، وليست علامة، فتدمير الكون وانتهاء الحياة ليس بعلامة حتى نسميها علامات كبرى، إلا إذا اعتمدنا الخلط بين الساعة والقيامة ولم نفرق بينهما.

وترى نهجهم حين يذكرون تفصيلات الأشراط التي يسمونها صغرى للساعة، فكثير منها لا يُعبِّر عن أشراط قدر ما يُعبِّر عن خيال، فتجدهم مثلا يقولون ما ورد بالبخاري ومسلم من علامة رفع العلم وظهور الجهل، فإنهم بذلك الحديث المدسوس على رسول الله يطمئنون الناس، فمجرد وجود العلم يعني عدم قيام الساعة بغتة، سواء أكان المقصود العلم الشرعي أو العلوم التجريبية، لهذا أرى الاعتماد على كتاب الله في هذا الشأن أفضل.

ودليل آخر على فساد أمر رفع العلم وانتشار الجهل قبل قيام الساعة كشرط مزيف يزعمونه من أشراطها، وهو الأمر المذكور بصحيحي البخاري ومسلم اللذين تصر أجهزة الفقه على عدم تنقيحهما وتنقيتهما، فإنك تقرأ كتاب الله يذكر عكس ما يذكره البخاري ومسلم، فيذكر من

أشراط الساعة كثرة العلم وسيطرة أهل الأرض على الأرض، وهو الأمر الذي نجد شواهده بادية هذه الأيام، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 23-24].

فهاهم قادرون على الأرض، فهل قدروا على الأرض بالجهل؟!، وهاهي الأرض قد أخذت زخرفها وازينت، فهل حدث لها ذلك بالجهل ورفع العلم كما يدَّعون؟!، لذلك أهيب بالدعاة التمهل حين يغترفون من البخاري ومسلم وكتب الصحاح، حتى لا يخالفوا كلام الله ويظنوا أنهم يقدمون للناس دينا.

ونخلص بأن من أشراط الساعة كثرة العلم وسيطرة أهل الأرض على الأرض، وليس كثرة الجهل، ولا يقولن مجادل بأنه الجهل بالعلم الشرعي، فإن ذلك جدل عقيم لأن المدونات العلمية والفقهية تتكاثر وأصبح الفقه يملأ الهواء عن طريق شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ولا يزال المتقون موجودين بالأرض إلى قيام

الساعة، لذلك فلن يرفع العلم الشرعي أبدا، وآية ذلك قوله تعالى عن أحداث الساعة: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67]؛ فحين تقوم الساعة (وهي من أيام الدنيا) تنشأ العداوة بين أهل الزوغ، وتكون الحميمة لأهل التقوى، بما يعني وجود الصالحين بالدنيا حتى قيام الساعة.

أذكر ذلك لأن الدعاة يحبون أن يصيحوا بأن الساعة ستقوم وليس على وجه الأرض من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فهو صياح مخالف للآية السابقة، ويتصادم مع صريح معنى الآية.

وهم يقولون بأنها تقوم يوم جُمُعة، وهذا يتنافى مع الفُجاءة التي يجب أن تتم بها الأمور، لأن معناها أن تكون أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء أمان من قيام الساعة، وهو الأمر المخالف لكتاب الله، بل وقال بعضهم بأنها تقوم في الفترة بين صلاة الفجر وشروق الشمس وأيدوا ذلك بمدسوسات على السُّنة النبوية المطهرة وقالوا عنها (حديث صحيح)، وكذبوا لأن علوم أهل الزيغ الذين دسوا تلك المرويات لم تكن لتدرك بأن بيننا وبين مواضع بالولايات المتحدة عشر ساعات في التوقيت الزمني وهو ما يؤكد فساد ما انتهوا إليه.

ومن بين أشراطها وعلاماتها قوله ـ تعالى ـ بسورة الأنبياء: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 96-97]

فدلت تلكم الآيتان على أن فتح يأجوج ومأجوج من بين الأشراط التي يسمونها صغرى، لقوله تعالى بعدها: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾، فالوعد الحق هو فتح ردم يأجوج ومأجوج وخروج ذراريهم إلى كل الدنيا فسادا وقتلا وتخريبا كما جاء بالسُّنة النبوية المطهرة، إيذانا بزوال الدنيا ثم حساب يوم القيامة، وأظنه ـ والظن لا يُغني من الحق شيئا ـ التفوق البادي لأهل الصين وكوريا الشمالية ومحاولات الأخيرة امتلاك القنبلة النووية، فوصف وجوههم ذكرها النبي في الأحاديث الصحيحة؛ فضلا أن أهل الصين أكثر الناس نسلا على وجه الأرض فالآية تذكر ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾؛ حتى إنك تجدهم منتشرين حاليا في كل بلدان الدنيا، فهم يطرقون علينا الأبواب حاليا بالقاهرة، ووجود أحياء كاملة لهم بأمريكا، وانتشار مطاعم الوجبات الصينية، كل ذلك يؤكد قرب حلول حقيقة الآية وصدق الرواية عن رسول الله، وقد يكونون من سكان الكواكب الأخرى.

وانتهاء ردم يأجوج ومأجوج لا يكون كما تُصوّره الروايات المزيفة عن رسول الله من أنه ثقب ويتسع، فلقد روى البخاري في صحيحه بكتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام بالحديث رقم [3403]

عـن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخـل عليها فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بإصبعه وبالتي تليها فقالت زينب فقلت يا رسـول الله أنهلـك وفينـا الصالحـون؟ قال: نعـم إذا كثر الخبث، وهنـاك أحاديث أخرى بكتب الصحاح تذكر مثل هذا الهراء بينما يغشـاها فسـاد السـند والمتـن، لكـن قل في الوقوع في غرام الأقـوال البشرية وترك كلمات الله ما تشاء.

لكن فتح ردم يأجوج ومأجوج لن يكون إلا بدك البناء كله، وهو ما يُعَبِّر عنه الله في كلام ذي القرنين، حيث يقول تعالى بسورة الكهف: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [هود: 94-99].

وذلك يعني أنه ما من أحد يستطيع نقب هذا البناء كما تزعم بذلك أساطير يسمونها حديثًا صحيحًا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾،

فالنقب هو ثقب ويتسع كما أشارت بذلك الروايات الفاسدة والمدسوسة على رسول الله، فهكذا يتبين لك فساد الاعتماد على الروايات التي لا يدعمها كتاب الله.

لكن حقيقة ذلك البناء أنه يُدك جميعه بفعل فاعل وبأمر الله، لذلك يجب أن تكون معتقداتنا غير متصادمة مع آيات كتاب ربنا، وإلا كنا مكذبين بها، بينما نصيح بأننا نؤمن بالقرءان، ولست أرى داعيا لتخريج سند مثل تلك الأحاديث حتى لا تتسع فضيحة التزييف على رسول الله للعامة.

ولا يعرف أحد مكان ذلك الردم، ولا كنهه، فقد يكون سور الصين العظيم، وقد يكون شيئا آخر، وقد يكون لم يُبن بعد، والله أعلم، وقد يكون تم بناؤه وتم دكه، لكن يجدر القول بأن الآية تدل على إفساد يأجوج ومأجوج بالأرض أولا، ولا ندري إن كانوا من البشر أم من سكان الكواكب الأخرى، ثم بناء السور بردم من القطران والنحاس المذاب ثانيا، ثم بعد ذلك دك السور كله دفعة واحدة بالمرحلة الثالثة، ثم بعدها يموج الناس تقتيلا فيما بينهم.

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ بسورة الدخان عن إحدى أمارات الساعة: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا

مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: 9-16].

فالله يقول لنا أن نرتقب دخانًا يأتي من السماء يخنق الناس، فيدعون ربهم فيكشف عنهم العذاب، ثم لا يلبثون أن يعودوا للكفر والفسق مرة أخرى.

وذهب كثير من العلماء سلفا وخلفا إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم، وكثير من التابعين.

وقد رجح الحافظ بن كثير - رحمه الله - هذا، مستدلا بالأحاديث، ويذكر القرطبي في كتابه (التذكرة) ص655 قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول: «هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه» وقال النووي رحمه الله تعالى : ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار.

ومن الجدير بالبيان أن كل ما سبق ذكره من أحداث الساعة والذي سيستغرق زمنا يُعدُّ بالأحقاب، منه ما هو علامات من رحمة الله بك، يمكنك فيها التوبة ويمكن للكافر الإيمان، ومما يهمني ذكره

أن من أشراط الساعة آية بعثة النبي محمد ـ ﷺ ـ للناس، كذلك خروج يأجوج ومأجوج، فالآيتان مجرد اقتراب؛ وهما إنذار أخير يمكن للناس من حينها أن تثوب إلى رشدها وتتوب، وجدير بالبيان أن بعثة سيدنا عيسى من العلامات الصغرى للساعة أيضا، ولك أن تتدبر قول ربنا تبارك وتعالى عن سيدنا عيسى في قوله عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61].

ومن أمارات الساعة واقعة انشقاق القمر، وفي ذلك يقول ـ تعالى ـ بسورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 1-3]؛ وواقعة انشقاق القمر حدثت على عهد رسول الله، وذكرها البخاري ومسلم وغيرهما، ومع ذلك فقد كذب المشركون ما رأوه بنواظرهم، وهو ما يؤكد ما انتهينا إليه من نسيان الناس أو كفرهم بآيات كتاب الله.

وقائع قيام الساعة

أما وقائع قيام الساعة وهي ما يطلقون عليه بالخطأ تعبير (العلامات الكبرى للساعة) فهي مما ورد بالقرءان المجيد حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ

كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 82]؛ فخروج الدابة التي تكلم الناس على غير المعهود، أمر من وقائع الساعة، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾، ولن تخرج تلك الدابة من رحم أمها لكن تخرج من رحم الأرض، وخروجها يكون فجأة، فتلكم هي البغتة.

ومن وقائعها قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: 1]؛ وتكور الشمس بداية لانكدارها كنجم متلألئ الآن بالسماء، فلا تزال شممنا غير مستديرة حتى الآن، وذلك لاستمرار خروج حممها البركانية المستمر من كل جهة منها ولمئات الكيلومترات بما يمنع استدارتها لأية لحظة حتى الآن، لكن إن هدأت تلك الحمم فستبرز استدارة الشمس وذلك من العلامات، ووقتها ستكون الأرض صقيعًا، وما تراه الآن بعينك مستديرا في السماء ليس بقرص الشمس إنما حزمة من ضوئها وقد سافرت ملايين الأميال.

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: 2]؛ أي أنها ستنطفئ، يعقب ذلك عصر بارد مظلم على الكرة الأرضية ولا يعلم إلا الله الزمن الذي يستغرقه ذلك العصر.

وهناك واقعة جمع الشمس والقمر، يقول تعالى: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة: 9]؛ فجمعهما يعني اندثار النظام الكوني، واختفاء الشمس والقمر.

ويقول جل جلاله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2]؛ أي ستخرج الكواكب من منظومتها الدورانية حول نفسها وحول شموسها لاختلال أنظمة الجاذبية، فتكثر ارتطاماتها ببعضها البعض، لتناثر النيازك العملاقة، وبالتالي تدمير الكواكب بفعل تلك الارتطامات الجبارة.

ويقول تعالى بسورة المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: 8-10]؛ فهل يتصور أحد أن تذوب السماء فتكون كماء النَّار؟، وأن تكون الجبال كالقطن الذي تم تنجيده؟.

أما عن الأحداث على سطح الأرض فيقول جل في علاه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6]؛ وهو ما يعني خروج الحمم البركانية من باطن البحر إلى السطح؛ ويكون أيضا بفصل ذرات وجزيئات الماء إلى أيدروجين مشتعل وأوكسجين يساعد على الاشتعال، فيشتعل ثلثا الكرة الأرضية لأن ثلثيها ماء بحار وأنهار.

ويقول ـ تعالى ـ عن مصير الجبال بسورة طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 105-107]؛ ونسف الجبال يعني أن تميد الأرض وتكثر الزلازل كما كانت قبل خلق الله للجبال حين وضعها الله في أماكنها

كأوتاد للأرض، وهو ما يُعَبِّرُ الله ـ عز وجل ـ عنه في آية أخرى بقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 5]؛ وما ذلك إلا لأن الله وعد بأنه كما بدأ أول خلق فهو يعيده كما بدأه.

ويقول ـ جل في علاه ـ بسورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1-2]؛ فالساعة تقوم على أحياء، ومن هولها تسقط الحوامل الأجِنَّة من الذعر؛ وتنسى الأم وليدها الرضيع، وزلزلة الساعة عذاب عظيم لمن شاهدها لذلك ترى الناس وكأنهم سكارى من التلوي من العذاب، والحسرة،

وإني أستشهد الله عليك أيها القارئ: هل سمعت يوما من يقول بأن من أحداث الساعة أن يتوقف التناسل والتكاثر البشري فتضع كل ذات حمل حملها ويموت الأجنة لعدم إرضاع أمهاتهم لهم؟!، إنك لم تسمع ولم تقرأ ذلك لأن القدماء اعتبروا ذلك من القيامة بينما هو من أحداث قيام الساعة وليس من أحداث يوم القيامة.

ومن عجيب أمر أهل الفقه القديم الذين لم يكونوا ليفرقوا بين الساعة والقيامة أنهم يرون ذهول المرضعة عما أرضعت يكون يوم القيامة وذلك من قصور الفقه، إذ الأمر بالساعة حين تتزلزل الأرض،

لكن ليس بالقيامة زلزلة، فضلا عن أن كل ذات حمل ستضع حملها، أي يسقط الحمل ولا يكتمل، والقيامة لا حمل فيها ببطن إحداهن ليسقط.

ومن عظيم البيان القرءاني في وصف زلزلة الساعة، حيث سترجف الأرض، فيقول ربنا بسورة النازعات: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: 6-10] ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: 14]؛ وهذا يعني أن زلزلة الأرض تنشأ من خوفها ورجفتها التي تستتبع ذلك الخوف، فتُخرج أثقالها من جوفها، فتكثر البراكين والزلازل معا، مما سيحطم الأرض وما عليها تحطيما.

وجدير بالبيان أن أُنوّه عن عدم ذكر أهمية وقائع قيام الساعة لمن سيموت قبلها، أو لمن آمن ولم يكن لإيمانه يقين وثمرة، لأنك إن مت الآن فلن يفيدك العلم بأحداث وأشراط الساعة العامة، فيوم موتك هو انتهاء فرصتك الوحيدة للنجاة بالآخرة، لذلك وضعت لك سبب دراستك لعلم الساعة وأشراطها تحت عنوان مستقل [ماذا يفيد المسلم معرفة علم الساعة وأشراطها] وهو ما سيأتي بهذه الدراسة في حينه.

وقد يكون من المفيد ذكر بعض الأحداث البشرية المواكبة للأحداث

الطبيعة، فلقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: 55-57]؛ فذلك جانب من ندم من تقوم عليهم الساعة بغتة وهم في غِيِّهم لاهون عن الحقيقة الإلهية والرسائل السماوية لأهل الأرض، إذ أنه عند قيام الساعة فعلا لا ينفع أحدا الإيمان إن حاول أن يثوب إلى رشده.

ومن عجيب أمر من لا يفرقون بين قيام الساعة ويوم القيامة أنهم يُفسِّرون تلك الآية على أنها مقولة الموتى حين يخرجون من قبورهم فيقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة في القبر، وهو تأويل فاسد، إنما يعبِّر الأمر عن ندم الأحياء الذين تقوم عليهم الساعة، حيث لا ينفع إيمان، فيوقنون بهلاكهم، ويتمنون أن يطول بهم الزمن الذي لم يشعروا بانقضائه إلا أنه قدر ساعة.

ولقد بين الإمام الزمخشري في تفسيره لتلك الآية أن الساعة تكون في آخر أيام الدنيا وإن خلط بينها وبين القيامة، فقال: [{الساعة} القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت

علماً لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث] انتهى.

[لاحظ خلطه بين الساعة والقيامة، وبين قول الناس إن كان لبثهم بالدنيا أو بالقبور، ومن يقرأ تفسير ابن كثير وغيره عن تلك الآية يجد مثل ذلك الخلط].

وهناك صورة أخرى ينقلها لنا القرءان الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[الروم: 12]؛ أي يسكت المجرمون بعد أن ملئوا الدنيا ضجيجا وصياحا بترهات أقوالهم.

فحين يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[الأنعام: 31]؛ إنما يعني أن من بغتته الساعة لن يستطيع التوبة، فلقد التصق به عمله السيئ أو كفره إلى يوم القيامة، كذلك من تحضره الوفاة فيحتضر احتضار الموت فلن تنفعه توبة حال الاحتضار، ولا تدل هذه الآية على يوم القيامة إنما تدل على قيام الساعة (الساعة العامة أو الخاصة) على أحياء يحملون من الأوزار ما يحملون ولا يستطيعون التوبة ولا الإيمان.

وقيام أحد وقائع الساعة الواردة بكتاب الله مما يسمونه بالعلامات الكبرى لا ينفع حينها إيمان، حيث يقول تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن

تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: 158]؛ لذلك فإن الإيمان حينها لا ينفع، وتلك العلامات والآيات تحدث فجأة، لذلك فإني أجد أن بعثة رسول الله للناس جميعا هو من بين الإنذارات الأخيرة من السماء لأهل الأرض.

ومن بين أحداث قيام الساعة انقطاع التوالد والتناسل البشري، وتوقف نمو الأطفال الرضع، وفي ذلك يقول تعالى بسورة الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 1-2] نعني بذلك البيان بأن كل عاقل بالغ قامت عليه الحجة هو الذي سيبقى من البشرية ليشاهد وقائع قيام الساعة.

إن مجرد قيام الساعة يتبين بعدها فورا للغافلين سوء مصيرهم، لذلك تكثر خلافاتهم ومشاحناتهم، بسبب فتنة بعضهم لبعض حال فرصة الحياة، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بسورة الزخرف: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 66-67] فتنشأ عداوات لم تكن موجودة بين من كانوا بالأمس أصدقاء أخلاء.

ويكون المتقون أشد فرحا بقيام الساعة رغم سوء الأحوال الجوية والأرضية حينها وقرب حساب رب الأرباب، وقد يكون من المفيد أن أذكر أن ذات تلك الطمأنينة تصيب أيضا كل مسلم حَسُنَ إسلامه ومات قبل أي وقائع لقيام الساعة، لأن الله يُطمئن ويُبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، فالله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد: 28]؛ وساعة يحين أجلهم يقول الله ـ تعالى ـ لهم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: 27-30]؛ أذكر ذلك حتى أرد على أولئك الذين يقولون بأننا حين نموت لا ندري أكنا في حياتنا من أهل الصلاح أم الغفلة، وهل إلى جنة أو نار، فذلك مخالف للطمأنينة في الدنيا وطمأنينة خروج النفس من الجسد التي وهبها الله للذاكرين.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر بأن طمأنينة الذاكرين لا تتنافى مع خشيتهم لله، لأن خشيتهم لا تعني الخوف من المصير، بينما هم آكدون من عملهم الصالح، لكنها تعني الاستحياء من الله، فالخشية التي يقول الله فيها: ﴿ ... إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴾ [فاطر: 28]؛ إنما هي ما نسميه ببلدنا مصر (يختشي)، ولا تعني يخاف، لأن ذكره لله يطمئنه على مصير لقائه مع ربه، ومع ذلك فخوف المؤمنين أن يقعوا في المعصية أو يصيبهم سوء الحساب إن خالفوا منهاج الله،

فهم لا يخافون خوف المتشكك فيما يقومون به من عمل، ولا يخافون من عدل الله، إنما يخافون من الوقوع في الزلات والمعاصي.

ومن الجدير بالبيان أن يوم الحسرة ليس هو يوم القيامة، فبالقيامة ندم وبالساعة حسرة، وتكون الحسرة يوم قيام الساعة وما يصاحبها من أحداث دمار الكون، وهو الوقت الذي لا ينفع فيه إيمان، لذلك فإن الله يُنذر الأحياء أن تدركهم تلك الآية في ذلك اليوم فيندمون ويتحسرون، يوم لا ينفع الندم، ولا فائدة من الحسرة إلا الألم.

فحسرة المصير تكون عند قيام الساعة بالدنيا، أما يوم القيامة فهو يوم الندم والويل لأهل الكفر، لأنه يوم الجزاء، ومن البيان أن تكون الأموال التي أنفقها أهل الكفر تنقلب عليهم حسرة بالدنيا، لفوات مقصدها يوم تلتف الساق بالساق، أو حين يغلبون بالدنيا، وفي ذلك يقول ـ تعالى ـ عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 36].

والفرق بين الحسرة والندم، أن الحسرة تكون لما فاتك من قريب ولم تتمكن من إدراكه فأنت تشاهده وتعاينه وهو يفوتك ويتفلت منك، أما الندم يكون على ما فاتك وأنت لا تراه ولا تعاينه ولا يمكنك محاولة اللحاق به.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]؛ فيوم الحسرة وهم في غفلة لا يؤمنون لا يعني أبدا يوم يقوم الموتى لرب العالمين، إنما يعني قيام الساعة على الأحياء حقا وحقيقة، فهم الذين تلحقهم الحسرة لما كانوا فيه من غفلة، لكن الأموات لا يكونون في غفلة، وإن كانوا في غفوة، والحسرة للأحياء تكون لعدم تمكنهم من الإيمان ولا التوبة، لأن التوبة أُغلقت أبوابها، فلا يقبل الله إيمان أحد بعد أحداث وقائع قيام الساعة التي أوردها بكتابه العظيم القرءان.

ويقول تعالى عن الظواهر الكونية التي تصاحب قيام الساعة وما يصاحبها من حسرة الكافرين بالله، والفاسقين الذين أسلموا ولم تنههم معرفتهم بوجود خالق يحاسب الناس يوم القيامة عن ارتكاب كل الجرائم: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: 7-10]

فقول الإنسان ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ إنما يُعبِّر عن اليأس والإحباط الذي يصيب تلك الفئات من عذاب قيام الساعة عليهم وهم أحياء.

ومما يؤكد ما انتهينا إليه من أن الساعة تعني تهادم الكون على من فيه، وأن القيامة تكون على الأموات ليقوموا من موتهم، ما ذكره الله في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ

لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104]؛ فكما بدأ الكون سينتهي، فالسماء والأرض كانتا دخانًا قبل أن يخلقهما الله بالهيئة التي نراها حاليا، لذلك فإنهما سيتبددان عند حدوث الساعة بالوجه الذي ذكرناه سلفا.

ماذا يفيد المسلم معرفة أحداث الساعة وأشراطها؟

كما علمنا فإن الساعة هي فناء ذلك الكون وموت كل كائن حي، فهي تدمير للحياة وانتهاؤها، لكن الأحداث العملية للساعة والسابق ذكرها قد لا يراها أحد من الذين يعيشون بأيامنا هذه، فما فائدة دراستها؟.

لا شك بأن الله جعل لكل كائن حي علامات لدنو ساعته، فكما للكون علامات لانتهائه فإن لك علامات لانتهاء حياتك، فبعثة رسول الله هي إيذان بانتهاء الحياة جميعا، لذلك فلابد أن تعتبر لذلك؛ فهي الفرصة الأخيرة للبشرية أن تثوب إلى رشدها.

ولابد أن تعلم وتعمل على أنها علامة لدنو ساعتك أنت لتموت في أي وقت، لأن الساعة تأتي بغتة، والمشيب في رأسك من العلامات الصغرى لقرب أجلك، والمرض وقلة حيلتك وانهدام قوتك التي كانت لك كلها إنذارات صغرى لقرب دخول جسدك وعودته للطين

الذي نشأ منه، وعودتك أنت إلى الله القائل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]؛ فيمكنك الأوبة والاستغفار.

أما إذا بلغت الروح الحلقوم فتلكم من أحداث قيام ساعتك لانتهاء أجلك وانتهاء حياتك، ولا ينفع حينها توبة، وتدبر قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 18]؛ فدراستك لعلامات الساعة وأحداث قيامها تؤكد في ذاتك العبرة لمن كان له يقين وإيمان، فهل انتبهت؟.

وساعتك الخاصة هي التي قال الله فيها لكل من يقرأ القرءان: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46]. وهي بذاتها تعني الساعة العامة لمن ستقوم عليهم الساعة العامة.

وإثباتا لما تقدم من أمر الساعة العامة والساعة الخاصة، ما ورد بكتاب الله عن إهلاك عاد وثمود وقوم فرعون، فقد كانت الحاقة الخاصة بهم وهي ساعتهم التي أخذهم الله فيها فأماتهم، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بسورة الحاقة: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 1-12] فهكذا تجد الإهلاك الخاص وقد ورد بمعنى الساعة الخاصة وبلفظ (الحاقة).

فالموضوع إذًا ليس عِلْمًا لأناس ليحفظوه، بل هو علم لأناس ليتدبروه، ويقفوا على دلالاته بالنسبة لهم، فقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ يتعوذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، وما الإيمان المطلوب باليوم الآخر إلا لتؤمن بالانتهاء الحتمي لهذه الحياة والمحاسبة الحتمية والمصير الأكيد بالآخرة لكل من كان من البشر والجن على ظهر هذه الأرض ووهبه الله ومنحه فرصة الحياة لينظر ماذا فعل إبان تلك الفترة، لذلك يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2].

ومن الإثباتات العلمية التي يبثها الله في الكون ليثبت كتابه العظيم القرءان الكريم وهو يقول: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: 19]؛ فإليك علم أحد علماء مصر وهو الدكتور/ أحمد عوض عبد الهادي أستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم جامعة المنيا حيث يقرر: [فلقد تبين أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض حالياً بمعدل 38 ألف ميل /

ساعة لكل مليون سنة ضوئية (300000 ألف كيلومتر في الثانية) فيما يسمى بثابت هبل، وحتما سيأتي وقت تنتهي هذه الحركة وتسكن ومن ثم تقع الأجرام علي بعضها، فيبدأ الكون بالانكماش ومن ثم يجمع الكون كله في نواة صغيرة جداً بالنسبة لحجمها الحالي (the big crunch theory) هذه النواة هي نفسها التي نشأ منها الكون قبل ما يزيد علي 12 مليار سنة]، ويقول [وطلوع الشمس من مغربها بات يقينًا، فهذا مشابه لما حدث في المريخ منذ قريب، وتحديدا في يوم الأربعاء 30 يوليو 2005 حيث توقفت حركة المريخ عن السير في الاتجاه الشرقي، وبعد ذلك في شهري أغسطس وسبتمبر تحول المريخ بالانطلاق بشكل عكسي نحو الغرب وذلك إلى نهاية شهر سبتمبر حيث توقف لفترة بسيطة، ثم عكس دورانه في اتجاه عقارب الساعة (من الشرق إلي الغرب، بمعني أن الشمس تطلع عليه من المغرب)، رأينا أن هذا الأمر حدث للمريخ اليوم علي الرغم من أن الأحاديث النبوية ذكرت تلك الظاهرة قبل 1400 سنة . وما حدث للمريخ كأنه مقدمة لما سيحدث على كوكبنا.].

وإنه تمهيد لحدث توقف الأرض عن الدوران تمهيد لطلوع الشمس من مغربها، فإن دوران الأرض يتباطأ، حيث قال ذات العالم بمدونته:[إنّ دورانَ الأرض يتباطأ لكن بنسبة أبطأ بكثير مِنْ ثانية

واحدة كُل عدد من السَنَواتِ أي تقريباً فقط جزء من الألف من الثانية. فقد تَفاوتَ الطول المتوسط لليومِ الشمسي بين عامي 1999 - 2005 بين 0.3 و1 ميللي ثانية أي أن يوم الأرضِ الشمسي أطول قليلاً الآن منه أثناء القرن التاسع عشر.

إن ذلك يعني أنه سيكون اليوم الذي تشرق فيه الشمس من مكان مغربها.

موقف الكافرين من الساعة والقيامة

قد يكون من البيان أن نبرز موقف الكافرين من الساعة وموقفهم من القيامة، ونبدأ أولا بموقفهم من الساعة، حيث يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: 42]؛ فهم يسألون سؤال المستنكر لأنهم يظنون الدنيا أبدية، وأن الساعة لن تقوم، لذلك يحكي الله عن قائلهم بسورة الكهف: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: 35-36].

فهم لا يتصورون الفناء ولا يتصورون انتهاء الدنيا، وحتى على فرضية انتهائها فهم سيجدون عند الله الأفضل من نعيمهم الذي اعتادوا عليه.

ومنهم من كان يكذب بالبعث يوم القيامة فيقول تعالى عنهم: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: 78]؛ فهم غير مقتنعين بالبعث، والبعث من أعمال القيامة، وهو من أعمال الإنشاء، وليس من أعمال الهدم والانتهاء كما يحدث عند قيام الساعة، ويكفيك أن تدرك إحدى العجائب بأن آخر آية ذكرها الله في ترتيب السور بالقرءان عن الساعة كانت عن تساؤل الكافرين عن الساعة، حيث يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات: 42]؛ وآخر آية بالمصحف عن القيامة كانت عن تساؤل الكافرين عن القيامة، حيث يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: 6].

نفخة الساعة

وللساعة نفخة وللقيامة نفخة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: 68]؛ هذا يعني أنه برغم كل أحداث الساعة السابق بيانها، فإن بعضا من الحياة سيكون على ظهر الأرض وغيرها من الكواكب، لكن حين تتم النفخة الأولى فهي تُنهي كل مظهر من بواقي مظاهر الحياة، بعذاب تلك الصيحة ذات النفخة، لكن هناك من سيموتون دون سماع تلك الصيحة وكأنما أصابهم

صمم، وهو من رحمة الله عليهم؛ وهناك من يقولون بأن المستثنين من الصعق هم الملائكة.

قال ابن حجر بعد أن حكى مقالة ابن حزم: هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحد منهما باعتبار من يستمعهما، فالأولى يموت فيها كل من كان حياً، ويُغشى على من لم يمت ممن استثنى الله. والثانية: يعيش بها من مات، ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم. انتهى.

وقالوا عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ بأنهم الملائكة، وقيل جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وقالوا بأنهم حملة العرش وهم ثمانية ملائكة، وعموما لا يهمنا الخوض في ذلك.

وموضوع إزالة ما بقي من الحياة بالنفخة الأولى إنما هو هدم لفلول الحياة.

وبمجرد النفخة الأولى ينتهي نسب كل بشري، حيث يقول تعالى بسورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101] ولا يكون هناك إلا الأخوة في الله، فهي القرابة الوحيدة القائمة التي يسعد أهلها في الدنيا والآخرة.

ويوم ينفخ في الصور نفخة الساعة، يتم دك الأرض وما بقي من بقايا الجبال فتختفي تحت وطأة الدكة، وتنشق السماء الجديدة لينزل

منهـا الملائكة، وفي ذلـك الموقف المهيب يقول تعـالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقـة: 13-15] فيكون ذلك في النفخة الأولى، بينما بالنفخة الثانية يكون البعث والملائكة وبروز العرش: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16-18]

وبـين النفخة الأولى (نفخة السـاعة) وبـين النفخـة الثانية (نفخة القيامـة) وقـت، والمؤكد أن بينهما مسـاحة زمنية، وذلـك لورود كلمة (ثـم) بـين النفختـين، ﴿.. ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾؛ وهنـاك روايـات تذكر بأن بين نفخة السـاعة وصيحـة القيامة أربعين، لكـن لم يجـزم أحد إن كان أربعين يوما، أو سـنة، أو أربعين ألف سـنة، لكن لا يمكن الجزم والقطع بشيء عن مقدار الزمن بين النفختين.